تعاليم الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ورجالها خلال النصف الأول من القرن 19م من خلال مخطوط "كنز الأسرار" لأبي زيَّان الغريسي

حسين جيلالي بن فرج / طالب دكتوراه ل. م. د سنة ثانية
تحت إشراف أ.د دحو فغرور
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)

1- الطائفة الدَّرقَاوِيَّة في المصادر التاريخية الجزائرية:

رغم ما كان للطريقة الدَّرقَاوِيَّة من حضور روحي وسياسي منذ النصف الأول من القرن 19م سواء في الجزائر أو المملكة المغربية ، إلا أنَّ المكتبة الجزائرية خاصة لا تزال تفتقر للمصادر التاريخية التي تركها المنتسبون للطريقة الدَّرقَاوِيَّة[1] ، والتي لا تزال حبيسة الخزائن العامة والخاصة تنتظر من ينفض عنها الغبار ، مقارنة بالكم المعتبر من المصادر التي يمكن تصنيفها في خانة معاداة الطائفة الدَّرقَاوِيَّة ، والتي نالت حظَّها من التحقيق والطباعة والنشر في أكثر من مناسبة وأكثر من طبعة ، لتصبح عمدةً لكثير من الباحثين الذين شحنوا بها دراساتهم الجامعية ، دون العودة في غالب الأحيان إلى وجهة نظر الطرف الثاني في القضية ، مما أدى إلى ترسيخ تصورات مشوَّهة عن تعاليم هذه الطَّريقة ورجالها ، وتغييب الكثير من الحقائق والوقائع التاريخية المتعلقة بمواقفها في مجال المقاومة والتربية الروحية ، ذلك أن تلك المصادر كانت تنقل غالبا وجهة النظر الرسمية ليس إلا.

وعلى رأس هذه المصادر المنحازة للتيار الرسمي والمتحاملة على طائفة درقاوة ، نجد كتاب **دُرُّ الأعيان في أخبار مدينة وهران** للخوجة حسن التركي المستغانمي ، وكتاب **خاتمة أنيس الغريب والمسافر** لمسلم بن عبد القادر الوهراني ، وكتاب **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران** لمحمد بن يوسف الزيَّاني ، **وطلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران ومخزنها الأسود** للآغا بن عودة المزاري وغيرهم[2] .

[1]) الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة: طريقة صوفية تفرعت عن الطَّريقة الشاذلية ، تنتسب للشيخ مولاي العربي بن أحمد الدَّرقاوِّي (ت 1823م) ، ظهرت في أواخر القرن 18م بالمغرب الأقصى ، ثم سرعان ما انتشرت مع بدايات القرن 19م إلى سائر أنحاء الشمال الإفريقي ، وخاصة في الجزائر ، إذ تزعم أحد مُقَدمي الطَّريقة وهو عبد القادر بن الشريف ثورة كادت تعصف بالوجود التركي بالجزائر ، تتميز الطَّريقة بعقد حلقات الذكر التي يطلق عليها اسم العمارة والحضرة ، بالإضافة إلى السياحة ، وخرق العوائد ، وغيرها من الرياضات التي يلزم بها المشايخ مريديهم في بداية سلوكهم من أجل قتل النفس وحظوظها ، وإن كان هذا المسلك قد تخلى عنه أغلب شيوخ التربية المتأخرون ، وقد تفرعت عن الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة عدة طرق منها: المدنية ، البوعبدلية ، الهبرية ، العلوية ، الحبيبية.. إلخ.

[2]) خوجة حسن التركي المستغانمي ، دُرُّ الأعيان في أخبار مدينة وهران ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، ترجمه ألفونس روسو ونشره في جريدة المونيتور الجزائرية في أعداد 1395 إلى 1398 من سنة 1855م ، مسلم بن عبد القادر الوهراني ، تاريخ بايات وهران المتأخر أو

وتتفق المصادر الآنفة الذكر في ازدراء تعاليم الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ، ورمي منتسبيها بالزندقة والبدعة والضلال ، بالإضافة إلى التحامل السافر والتقوُّل عليهم بما لا يقرُّونه ولا يعتقدونه ، وإن كانت بعض الدعاوى التي شُحنت بها تلك المصادر هي حقائق لا ينكرها الدَّرقاويُّون غير أنها لم توضع في سياقها وبعدها الروحي والتربوي ، ولعل الآغا بن عودة المزاري (ت 1894م) يعتبر أصدق نموذج عن هذا التحامل ، فقد نقل ما تناولته المصادر السابقة ، وأضاف عليها دعاوى جديدة لم يسبق إليها.

فالآغا بن عودة المزاري لا يتورع عن وصف الدرقاويين "بأنهم أهل الحالة الدالّة على ذم وشقاوة" بل نلمس حنقا صارخا عندما يقول عنهم: "وفي الحقيقة إنهم ليسوا من أبناء الدنيا ولا من أبناء الآخرة ، وإن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، وأقدم حالة وأكذب مقيلا" ، إلى أن يصل به الحال إلى التقوُّل عليهم بما لا يقول به أي درقاوي ، إذ يرميهم بكراهية الأولياء والعلماء "لا سيما شيخ المشايخ الشَّيخ عبد القادر الجيلاني ذا السر الباهر ، وينفون عنه التصوف بالكلية" ، ثم ينقل فتوى على شكل قصيدة وجهت لعلماء تيطوان في حكم الانتساب للدرقاوية والصلاة خلفهم ، فكان الجواب بأن تعاليم درقاوة مخالفة للهدي النبوي ، وأن المنتسب لهم زنديق من أصحاب إبليس يضرب بالسياط[1].

2- الطائفة الدَّرقَاوِيَّة بين الانكار والتضييق:

قوبلت الكثير من تعاليم الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ومنهجها في التربية الروحية بالمعارضة المتطرفة من لدن عدَّة جهات ، حتى من قبل بعض شيوخ الطرق الصوفية فضلا عن الفقهاء والسلطة الرسمية سواء في الجزائر أو في المغرب الشريفي ، ولعل من أوائل من تصدَّى بالانكار عليهم الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد السلام الناصري (ت 1823م) في كتابه "**المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا**" فقد أشار في كتابه هذا إلى من أسماهم بـ"**الجَمَلِيِّين**" _نسبة لمولاي علي الجمل العمراني شيخ مولاي العربي الدرقاوي_ وقال أنهم طائفة ضالة لا يحلُّ حضور جموعهم ولا أكل طعامهم ، ويقول بأنه أدرك شيخهم علي الجمل وعرفه ، وأنه كان يأتي مدينة فاس على صورة بهلول ، وأن شيخه البناني كان يتعوذ إذا رآه ، ويقول أنه "لما هلك كثرت أتباعه ، تراهم يلبسون المرقعات والجلابيات وفي أعناقهم السبحة الغليظة ، إن

خاتمة أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق: رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974. مُحَّد بن يوسف الزيَّاني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تحقيق: المهدي البوعبدلي ، دار المعرفة ، طبعة خاصة ، 2011م. الآغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م ، تحقيق: يحيى بوعزيز ، دار البصائر ، ط1 ، 2007.

[1]) الأغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 303 وما بعدها

سلَّمت عليهم بالطرقات لا يردُّون السلام ، ولا يبدؤونك به ، ديدنهم مدُّ الكَفِ وبسطها للسؤال من الخلق بغير كلام[1]"

ولم يقف الأمر عند مجرد الردود العلمية بل تعدَّاه إلى الامتحان بالسجن والاستتابة ، ومن ذلك الاضطهاد الذي تعرَّضت له الطائفة سنة 1794م ، إذ قام عامل مدينة تيطوان بإعتقال نحو العشرين مريدا من مريدي درقاوة ، على رأسهم ثلة من كبار مشايخهم ، من أمثال أحمد بن عجيبة وأخوه الهاشمي ، والشَّيخ مُحَّد المكودي التازي والشَّيخ أحمد كوهن الفاسي ، بالإضافة إلى إغلاق زاويتهم بالمدينة[2] ، وكانت التهم كما يلخصها أبو زيَّان الغريسي: "لم تلبسون المرقعات ؟ وتحملون في أعناقكم السبحات ؟ وتأخذون العصا بيدكم ؟ وتمشون بالحفاء ؟ وتجتمعون للذكر والمذاكرة ؟ والإعلان للذكر والمداولة به ؟ وحلقة الذكر في المساجد والزوايا وفي الخلاء والملأ؟ والرقاد بالطرق وعدم المبالاة بالخلق ؟ وتذكرون الله على الدوام سرا وجهرا ؟ وتسألون الناس القوت والافطار ؟ وتتركون تدريس علم الظاهر ؟ وتصمتون عمن يكلمكم ؟ ولا تبالون بمن ينكر عليكم ولا تلتفتون لأحد؟ ولا عليكم فيمن يقركم أو ينكركم أو يمدحكم أو يذمكم ؟[3]" ، دون أن ننسى بطبيعة الحال أن السبب المباشر في اندلاع ثورة درقاوة بالجزائر سنة 1804م هو أن الباي مصطفى المنزالي قتل بعض فقراء درقاوة ووجه في طلب شيخهم عبد القادر بن الشريف ، كما يقول أبو القاسم الزيَّاني[4].

كل هذا يدعونا إلى التساؤل والبحث عن الإنتاج العلمي الدرقاوي ، ومدى تفاعلهم مع هذه الدعاوى والاتهامات التي كانوا يرمون بها ؟

3- الدفاع الدَّرقاوِّي ضد هجومات المنكرين:

إن ما يميز الطائفة الدَّرقَاوِيَّة أنها كانت تعتقد عدم السكوت على منتقديها والمنكرين عليها ، ولهذا تميزوا بغزارة الإنتاج العلمي وكثرة التآليف ، ومن ذلك كتاب "**الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان**[5]" لمحمد المكودي التازي ، ونجد هذا التأصيل للرد على المنكرين في رسائل مولاي العربي الدَّرقاوِّي ووصاياه لمريديه ، فقد قال لهم يوما بعد أن قرأ عليهم ردَّه على أحد منتقديه: "ما حملني على كثرة الكلام مع هذا الرجل ، إلا بيان ما جهله من حالنا ولئلا يتوهم أننا مزاود له" كما

---

[1]) مُحَّد بن عبد السلام الناصري ، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا ، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 137.

[2]) مُحَّد المنصور ، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين ، ترجمة: مُحَّد حبيدة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2006 ، ص 282.

[3]) أبو زيَّان الغريسي ، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدَّرقاوِّي وبعض أصحابه الأخيار ، الخزانة العامة بالرباط ، د 2339 ، ص 84.

[4]) أبو القاسم الزيَّاني ، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، 1886م ، ص 100.

[5]) مُحَّد بن مُحَّد التازي المكودي ، الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان ، مجموع مخطوط الخزانة العامة ، رقم 1856د.

كان يحذرهم قائلا: "إياكم أن تتركوا جواب من انتقد عليكم من المدعين ، لئلا يتوهموا فيكم ما قلناه لكم[1]".

ومن التآليف العزيزة والنادرة التي تؤرخ للطريقة الدَّرقَاوِيَّة وتشرح تعاليمها وتبين حالها ، وتعرّف بمؤسسها وبكبار رجالها ، كتاب "**كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدَّرقاوِّي وبعض أصحابه الأخيار**" للشيخ أبي زيَّان الغريسي المعسكري (ت 1854م)، إذ يُعد مرجعا لا غنى عنه للباحثين في تاريخ التصوف خلال القرن 19م ، ورغم أهمية هذا المصدر التاريخي إلا أنه لا يزال مخطوطا ، رغم كثرة نسخه وتعددها بالمكتبات والخزائن العامة والخاصة.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تقديم المخطوط من خلال التعريف بمؤلفه ، ثم التعرض لأهم نسخ المخطوط التي توفرت لدينا ، وحتى تلك المودعة بالخزائن الخاصة والعامة ، بالإضافة إلى الوقوف على مضمون الكتاب وقيمة المادة العلمية والتاريخية التي ضمها بين دفتيها ، بالإضافة إلى الوقوف على أهم تعاليم الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ورجالها.

4- كتاب كنز الأسرار والتعريف بالطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة:

انتشر هذا الكتاب واشتهر تحت عنوان "**كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدَّرقاوِّي وبعض أصحابه الأخيار**"، كما اشتهر تحت عدة عناوين أخرى مثل "**طبقات بوزيَّان الغريسي**" و"**تقييد في وفاة وترجمة مولاي العربي الدرقاوي**" ويقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله: "ويبدو أن الاسمين ليسا من وضع المؤلف نفسه ، وأن بعض النساخ فقط هم الذين أضافوا الاسم هنا وهناك على بعض النسخ[2]". وما يؤكد هذا الرأي أن النسخة التي تحمل العنوان الأول "كنز الأسرار" أضيفت بطرة الكتاب بخط غير خط الناسخ.

أ- مضامين الكتاب:

يرجع سبب تأليف أبي زيَّان الغريسي لهذا الكتاب إلى رغبته في ذكر نزر قليل من سيرة شيخه مولاي العربي الدَّرقاوِّي "وشيئًا يسيرا مما رسخ من سريرته ، ليكون منا على بال ، ورجاء بركته أن يخلصنا الله من جميع الوبال[3]" والظاهر أنه بدأ في كتابة هذا التقييد عقب وفاة شيخه مباشرة سنة 1823م ، وكان في نيته تسجيل سيرة شيخه ومناقبه وشيئًا من وصاياه ورسائله وما سمعه منه ، ثم بدا له أن يتبعه بسيرة كبار مريديه ، لأنه لم يشر إلى ذلك في مقدمة تأليفه ، ويبدو أنه لم يتمكن من إتمامه

[1]) العربي بن عطية الونشريسي ، الاستمدادات الربانية فيما من الله علي من بحر الوجدانية ، تحقيق: بومدين بوزيد ، مُحَمَّد خاين ، منشورات وزراة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، 2015م ، ص85.

[2]) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2011 ، ص 127

[3]) أبو زيَّان الغريسي ، المصدر السابق ، ص1.

نظراً لكثرة انشغالاته والتزاماته وعدم تفرغه ، وهو ما توحي به إحدى العبارات في كتابه إذ يقول: "فهذا ما حضرني ... مع تشتيت البال وكثرة الاشتغال وبعدي عن الكتب[1]".

يحتوي الكتاب على خمسة أبواب ، ينطوي كل باب منها على مجموعة فصول ، غالبا ما تكون استطرادات ، فالظاهر أن المؤلف كان يدوّن معلوماته اعتمادا على الذاكرة في أغلب الأحوال ، دون أن يكلِّف نفسه العودة لأمهات الكتب والمصادر والبحث عنها ، اللهم إلا ما كان قريبا منه ومتاحا له ، لذا يطغى عليه أسلوب الارتجال وعدم وضوح الخطة للقارئ ، خاصة إذا علمنا أن المؤلف قد توفي قبل أن ينهي الكتاب ، وترك فراغا خاصة فيما يتعلق بتلاميذ الشَّيخ الدَّرقاوِي الذين عاصرهم وكانوا لا يزالون قيد الحياة وقت تأليف الكتاب ، فجاءت خطة الكتاب كالآتي:

المقدمة

الباب الأول: في نسب الشَّيخ الدرقاوي

- فصل مولده
- فصل حول حفظ الولي وعصمة النبي

الباب الثاني: جعله في النشأة الروحية للشيخ الدرقاوي

- فصل في كيفية ذكر الاسم الأعظم
- فصل في أحوال الشَّيخ مقاماته
- فصلٌ مدارج السلوك

الباب الثالث: في سلوكه طريقة الصوفية

- فصل في قاعدة الأصول التي هي شرط واجب الوصول
- فصل استطرادي تفصيلي
- فصل مخالفة المريد لنفسه

الباب الرابع: في الأحوال التي أدركناه عليها

- فصل في ذكر شيء من عبادته
- فصل في ذكر الشَّيخ وكيفيته
- فصلٌ حلقة الذكر
- فصلٌ أوصافه البشرية والروحانية
- فصل في فهم رموز أهل التصوف
- فصل في منَّة صحبة الشَّيخ الدرقاوي

[1]) نفسه ، ص16.

الباب الخامس: وجعله حول كبار تلامذة الشَّيخ الدَّرقاوِّي ومريديه، وضم ثلاثة فصول

- الفصل الأول: في من صحب الدَّرقاوِّي ولم يره المؤلف
- الفصل الثاني: في من صحب الدَّرقاوِّي وتوفي ورآه المؤلف
- الفصل الثالث: في أصحاب الدَّرقاوِّي الذين لا يزالون على قيد الحياة (وهذا هو الفصل الناقص في الكتاب)

مثَّلت سيرة الشَّيخ الدَّرقاوِّي 62 % من الكتاب وضمت 4 أبواب، في حين مثّلت طبقات تلاميذ الدَّرقاوِّي نسبة 38 % فقط، وضمت بابا واحدا وفصلين.

ب- مصادر المؤلف:

اعتمد المؤلف في كتابه هذا على مصادر يمكن تصنيفها كالآتي:

- **الكتب والوثائق:** وفي مقدمتها رسائل الشَّيخ الدَّرقاوِّي وما نقله من خطه مباشرة، وأمهات كتب التصوف، كالمباحث الأصلية لابن البناء السرقسطي والحكم العطائية، وعينية عبد الكريم الجيلي وقصائد الشريشي والششتري وابن الفارض وغيرهم، وكتاب التحقيق في النسب الوثيق للعشماوي، بالإضافة لبعض الظهائر السلطانية.
- **السماع والرواية والمشاهدة:** ويتمثل فيما سمعه من شيخه مباشرة من أقواله، وما رآه من أحواله، أو ما حُدث به عنه أو عن أصحابه الذين لم يدركهم.
- **الإملاء:** أي ما كتبه عن شيخه املاء، فقد كان خادم الشَّيخ الدَّرقاوِّي وكاتبه الخاص.

والظاهر أنه كان يكتب أحيانا دون أن يستحضر الكتب التي تؤكد رأيه في قضية ما، فنجده يقول فيما يخص نسب شيخه على سبيل المثال: "وبعدما كتبت هذا، استحضرت كتاب الشَّيخ الإمام القطب العالم سيدي عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله البكري الملقب السهروردي أبو النجيب سيدي عبد القاهر ..."[1]، مما يدل على الطابع الارتجالي في أسلوب الشَّيخ، وعدم وجود منهج واضح وخطة محكمة.

5- التعريف بأبي زيَّان الغريسي:

لا توجد تفاصيل كثيرة حول نشأة وسيرة المؤلف، سوى ترجمتين مقتضبتين في كل من كتاب "**أقوال المطاعين في الطعن والطواعين**[2]" لأبي حامد المشرفي (1808-1895م) ثم أعاد

---

[1]) أبو زيَّان الغريسي، المصدر السابق، ص 16

[2]) حسن الفرقان، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي دراسة وتحقيق، منشورات التوحيدي، الرباط، 2014، ص187.

إدراجها بكتاب "**الحسام المشرفي**"[1]، وكتاب "**سلوة الأنفاس**[2]" لمحمد بن جعفر الكتاني (1857-1927م)، بالإضافة إلى الشَّيخ عبد السلام بن سودة (1901-1980م) في كتابه "**اتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع**[3]" أو بعض الإشارات في كتابه هذا حول نشأته الروحية وانتسابه للطريقة الدَّرقَاوِيَّة.

أ- **نسبه ومولده:**

هو مَحمد[4] بوزيَّان بن أحمد الحمدي الحُسيني الغريسي، من ذرية الولي الصالح سيدي أحمد بن علي الغريسي[5]، ولد بمعسكر في تاريخ غير معلوم، في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

ب- **انتسابه للطريقة الدَّرقَاوِيَّة واستقراره بفاس:**

انتسب للطريقة الدَّرقَاوِيَّة سنة 1216 هـ/ 1801م تقريبا، على يد مقدمها بالغرب الجزائري الشَّيخ عبد القادر بن الشريف، ثم ذهب مع الركب الذي كان يقوده عبد القادر بن الشريف سنة 1804م إلى زاوية مولاي العربي الدَّرقاوِّي ببوبريح بقبيلة بني رزوال بفاس، واستقر بها بإشارة من ابن الشريف[6].

وفي هذا الصدد يقول أبو زيَّان الغريسي: "قال لي __أي عبد القادر بن الشريف__ اجلس هنا عند أبينا وأبيك __يقصد مولاي العربي الدرقاوي__ إذ هو والدنا حقيقة حتى تستريح، إذ كنت مريضا ضعيفا صغير السن، وكان قصدي الإقامة ولأجلها قدمت لسيدي والحمد لله، فكوشف بقصدي والله أعلم، وقال لي أيضا: لا تأتينا إلا بدربالة يعني مرقعة، وكان يحب من يتجرد وينقطع إلى الله ويتوكل عليه من الإخوان، وكان يستحي من والدتي رحمهما الله ورضي عنهما ونفعني ببركتهما[7]".

ويقول كذلك أنه جدَّد العهد على الشَّيخ الدَّرقاوِّي بمدينة تازة، بدار صاحبه مولاي أحمد بن عبد الرحمن العلوي المراني الحسني، وبقي في خدمة الشَّيخ وملازمته مدة عشرين سنة[8].

---

[1]) شرف عبد الحق، "الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سي الظنون كنسوس للعربي المشرفي دراسة وتحقيق" أطروحة دكتوراه، إشراف عبد المجيد بن نعمية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2011/2010، ص407.

[2]) مُحَّد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: مُحَّد حمزة الكتاني وغيره، دار الثقافة، 2004، ج2، ص 409.

[3]) عبد السلام بن سودة، اتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق: مُحَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص 203.

[4]) هكذا ضبطها الشَّيخ عبد السلام بن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، بيروت، 1998م، ص 181.

[5]) عن الولي الصالح سيد أحمد بن علي الملقب بالثعبان وعن فروعه، ينظر: الهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب المشتمل على أربعة كتب، دار ابن خلدون، تلمسان، 1961م، ص 138 وما بعدها.

[6]) أبو زيَّان الغريسي، المصدر السابق، ص 5.

[7]) نفسه، ص 88.

[8])نفسه، ص 69.

وخلال هذه المرحلة استفاد من صحبة وملازمة كبار مريدي الشَّيخ الدَّرقاوِّي حيث كان يخرج معهم في سياحتهم أو يبادر بزيارتهم ، من أمثال الشَّيخ مُحَّد البوزيدي والشَّيخ أحمد بن عجيبة والشَّيخ مبارك الحمري وغيرهم ، ويقول أن الشَّيخ بن عجيبة كتب له مرة أثناء إعادته لحفظ القرآن باللوح فاتحة الكتاب وصدرا من سورة البقرة من باب التبرك[1].

ج-مكانته في الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة

هناك عدة عوامل ساهمت في إبراز مكانة أبي زيَّان الغريسي في الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ، وعلى رأسها طول صحبته للشيخ العربي الدرقاوي ، فقد مكث في خدمته ما يزيد عن 20 سنة (1804-1823م) وقد كان الشَّيخ يخصه بمزيد اهتمام ويأتمنه على أسراره ويرسله لقضاء حوائجه ، بل كان كابته الخاص ، بالإضافة إلى تتلمذه على كبار الدرقاويين[2].

وقد حلَّاه العربي المشرفي بعدة أوصاف وألقاب تدل على علو كعبه في طريق القوم ، إذ يقول عنه: "الولي الناسك العارف السالك أبو البركات الذي حباه الله بصحبة هذا الشَّيخ المبارك الملك الديان سيدي مُحَّد بوزيَّان بن أحمد الغريسي ...كاتب للشيخ مشكور وأُسُّ الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة غير منكور ، له فضيلة الصحبة وإمامة الحضرة العَلِّية الجناب ، الفسيحة الرحبة ، حسن السيرة صفي القصد والسريرة ، ميمون الناقبة محمود العاقبة ، علي القدر كبير الشأن والخطر ، شفاء القلوب من الأحزان والهموم وبقية الخصوص والعموم ، ثابت القدم وافر العلم ، المفيد سواء صمت أو تكلم ، المبجل المعظم عند من تأخر ومن تقدم ، خاتمة أهل التصوف والعرفان ، من الطَّبقة العلية والشأن عند الله وعند الشَّيخ وكافة الاخوان ، يجيب ويجاب وحاجب وحجاب ، ارتضاه الشَّيخ رضي الله عنه كاتبا عليه ونائبا عنه في كل الأسئلة الواردة والأمور التي تستند إليه ، إن حدَّث الشَّيخ فهو راوية ، وإن ربى باللحظة فهو حبر يساويه"[3].

كما يصفه صاحب سلوة الأنفاس بقوله: "الشريف الفقيه الأجل ، الولي الصالح الأفضل ، العارف المحقق ، الصوفي المدقق[4]".

د-صفاته:

يقول عنه أبو حامد المشرفي: "من صفاته السنية أنه كان ملازما للجلوس بمسجد القرويين معتكفا على الصلاة فيه ، بحيث لا تفوته صلاة من الصلوات الخمس يوما ما ، ولا يترك زيارة إخوانه وأولاد شيخه وأحفاده مع كبر سنه ، وكان متواضعا لسائر عباد الله خاشعا ذاكرا لله تعالى سرا وعلانية ،

---

[1])نفسه ، ص 102.

[2]) العربي المشرفي ، المصدر السابق ، ص 408.

[3]) العربي المشرفي ، مصدر سابق ، ص 407.

[4]) مُحَّد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 409.

له أخلاق حسنة انفرد بها في وقته وعن أبناء جنسه ، وعاظ لمن خالطه لا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا في الله ، لا يخشى سطوة ظالم ولا تأخذه في الله لومة لائم[1]"

هـ -تلامذته:

يقول ابن سودة: "تخرج عليه خلق كثير من طريقة شيخه العربي الدرقاوي ، وهو شهير بين أتباع الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة[2]" ويقول صاحب سلوة الأنفاس: " كان -رحمه الله -من جلة أصحاب العارف بالله مولاي العربي الدَّرقاوِّي وكبرائهم ، وكان له أصحاب وأتباع أخذوا عنه وانتسبوا إليه[3]".

فممن أخذ عنه **امحمد بن عبد القادر بن الأعرج السليماني الغريسي** (ت 1332 هـ/ 1913م). والذي أخذ عنه الشَّيخ عبد السلام بن سودة ، وعرفت هذه الطَّريقة لاحقا بـ"الطَّريقة السليمانية[4]".

وممن صحبه وأخذ عنه **أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن عبد الحفيظ الدباغ** ، والذي أخذ عنه العلامة عبد الحي الكتاني[5].

و-وفاته:

يتفق كل من صاحب سلوة الأنفاس وابن سودة على أن أبا زيَّان الغريسي توفي يوم الجمعة 5 ربيع الأول 1271هـ ، الموافق ليوم 24 نوفمبر 1854م ، دون أن ذكر سبب معين للوفاة ، أما العربي المشرفي فيصرّح أنه مات بالوباء (الكوليرا) الذي ضرب مدينة فاس ، ويقول أنه "تمكن منه يوم الخميس بعد صلاة الظهر في مسجدها الأعظم الكائن بعدوة القرويين ، وأحسَّ من نفسه ضررا كبيرا ، فراوده بعض الحاضرين من إخوانه في الله أن يحملوه لداره فأبى إلا أن يصلي العصر ، فأُغمي عليه قرب صلاتها ، ولم يشعر أن حملوه فمات في تلك الليلة أي صباحها" إلا أن المشرفي في حسامه لم يصرح بذكر الشهر ولا السنة ، أما في كتابه أقوال المطاعين فيقول أنه مات صباح الجمعة منتصف ذي الحجة من سنة1271هـ ما يوافق 29 أوت 1855م[6] ، والمرَّجح هو التاريخ المتقدم ، ذلك أن المشرفي سيذكر من توفي بالوباء بالترتيب ، وليس من المناسب أن يذكر آخر من ماتوا بالوباء ثم يذكر من سبقه.

---

[1]) حسن الفرقان ، المرجع السابق ، ص 188.

[2]) عبد السلام بن سودة ، إتحاف المطالع ، المصدر السابق ، ص 203.

[3]) عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ، تحقيق: احسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982 ، ج 2 ، ص 605.

[4]) عبد السلام بن سودة ، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال ، تحقيق: مُحَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1997 ، ص 10. وينظر كذلك: يوسف المرعشي ، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ، وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر ، دار المعرفة ، ص 1314.

[5]) عبد الحي الكتاني ، المرجع السابق ، ص ج 2 ، 605.

[6]) حسن فرقان ، المرجع السابق ، ص 188.

كما يذكر المشرفي أن موضع دفنه كان خارج باب الفتوح ، أما صاحب سلوة الأنفاس وبن سودة فيذكران أنه دفن "بروضة أولاد ابن إدريس _بالقباب_ التي في آخر الروضات الكائنة بهذا الخارج من ناحية القبلة" " وكانت جنازته جنازة مهيبة بحيث أنه لم يتخلف عنه أحد حسب المشرفي ، وحمل لمثواه الأخير بالذكر صفوفا محفوفة وأقيمت على قبره الحضرة مدة ساعة كاملة[1]"

ز-مؤلفاته:

يجمع كل من ترجم لأبي زيَّان الغريسي أنه ليس له من التآليف إلا كتاب كنز الأسرار ، والذي يقول عنه العربي المشرفي: "ألّف في وفاة شيخه تأليفا حسنا ، وضمنه من العوارف والمعارف ما يعجز عن مثله صاحب المباحث الأصلية" ويقول عنه صاحب سلوة الأنفاس: "وله طبقات في مناقب شيخه المذكور وبعض أصحابه ، توفي قبل إكمالها".

كما أن له جوابا مطولا على بعض المسائل الصوفية ، أجاب به زميله في الطَّريقة مولاي العربي بن عطية الونشريسي ، وقد أثبت صاحب الحسام المشرفي الرسالة كاملة في كتابه[2].

6- وصف نسخ المخطوط التي بين أيدينا:

أ-**نسخة الخزانة العامة بالرباط:** تحمل رقم 2339 د ، تحتوي 110 صفحة ، حملت الصفحة الأولى منه عنوان: "**هذا الكتاب يعرف بطبقات سيدي بوزيَّان الغريسي وهو في أخبار الشَّيخ مولاي العربي وأخبار أصحابه**" ، أما الصفحة الثالثة فقد كتب على طرتها بغير خط الناسخ: "وسميته **كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدَّرقاوِي وبعض أصحابه الأخيار**" مسطرتها: 21 سطر ، كتبت بخط مغربي جيد ، بها الكثير من الحواشي والتعليقات والعناوين الفرعية ، تنوعت بها الألوان ، غير أنها مصابة بالرطوبة في بعض صفحاتها ، بدون تاريخ نسخ ، ولا اسم الناسخ.

ب-**خزانة كلية الآداب بالرباط:** تحمل رقم مكل 8 ، تحمل عنوان: "**كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدَّرقاوِي وبعض أصحابه الأخيار**" تحتوي 187 صفحة ، مسطرتها: 16 سطر ، كتبت بخط مغربي بين المبسوط والمجوهر حسن واضح ، خال من تاريخ التأليف واسم الناسخ بدون تجليد ، وقع الفراغ من كتابته يوم السبت 16 رجب عام 1331 ه ، الموافق لـ20 جوان 1913م.

ج-**نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة:** تحمل رقم 4759 تاريخ ، تحمل عنوان: "**طبقات أصحاب مولانا العربي الدَّرقاوِي رضي الله عنه**" ، مقياسها: 16×21 ، مسطرتها: 13 سطر ، كتبت بخط مغربي ، بدون ذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ ، يحتوي على 149 لوحة.

د -**نسخة مؤسسة علال الفاسي بالمملكة المغربية:** تحمل رقم: ع 68 ، تحت عنوان "**تقييد في وفاة وترجمة مولاي العربي الدرقاوي**" صفحاته 161 مقياسه 23/18 مسطرته 16 ، كتبت بخط

[1]) العربي المشرفي ، المصدر السابق ، ص 408.

[2]) نفسه ، ص 399.

مغربي وسط ، تاريخ النسخ 29 رجب عام 1333هـ الموافق لـ 12 جوان 1915م ، احتوت طرة المخطوط العديد من العناوين الفرعية والتي هي من وضع الناسخ ، بالإضافة إلى عدة تصويبات وتعاليق[1].

ونشير إلى توفر عدة نسخ من هذا المخطوط بالمكتبات العامة والخاصة أهمها:

1. نسخة بخزانة زاوية آمجوط بالمغرب يحمل عنوان "الطبقات" للشريف المعسكري[2]
2. نسخة بالخزانة الحسنية ضمن مجموع تحت رقم 12813[3]
3. نسخة بالخزانة الأحمدية للشيخ عبد السلام بن سودة تحت عنوان "**طبقات في الشَّيخ أبي حامد العربي بن أحمد الدَّرقاوِّي الحسني وتلامذته**" تقع في نحو الأربع كراريس[4].
4. مخطوطات الخزانة الوطنية بالرباط تحت رقم: ك 2841.

7- تعاليم الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة:

يصطلح المتصوفة على وصف تعاليمهم والطقوس التي يمارسونها بـ"الآداب[5]" ، وهي جملة من الضوابط والالتزامات والأخلاق التي يلتزم بها المريد سواء بينه وبين نفسه وربه أو بينه وبين شيخه ، أو بينه وبين بقية إخوانه من المريدين ثم بقية الخلق ، وبما أن أغلب المتصوفة تتقاطع طرقهم في هذه الآداب فإنني سأخصص هذا المبحث للوقوف على ما يميز الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة عن سائر طرق التصوف الأخرى ، مما يمكن عدّه من خصائصهم ومميزات طريقتهم ، ويمكن أن نجمل أهم هذه الالتزامات والآداب في خمس نقاط وهي كالآتي:

أ- **ورد الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة:** نجد أن للطريقة وردٌ خاصٌ بالرجال ، وآخر للنساء ، وقد كان شيخ الطَّريقة مولاي العربي يؤكد عليه تأكيدا كبير ، ويحرض المريدين على المواظبة عليه عقب صلاتي الصبح والمغرب ، ويسمى عليه كذلك بالعهد والبيعة ، ولا يلقن الأوراد إلا الشَّيخ أو من يأذن لهم بذلك من كبار مريديه ، الذين يصطلح على تسميتهم باسم المقاديم.

ويتمثل ورد الرجال في: تكرار " **أستغفر الله**" مائة مرة ، و"**اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم**" مائة مرة ، و"**لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك**

---

[1]) عبد الرحمن بن العربي الحريشي ، الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي ، مطبعة الدار البيضاء ، 1991 ، ج1 ، ص 145. وننبه أن المفهرس وقع في تصحيف اسم المؤلف ، إذ سماه بالقريشي ، وهو تصحيف للغريسي ، وكذلك وقع خطأ في تسجيل تاريخ النسخ إذ جعلوه 27 رجب ، والصحيح ما أثبتناه أعلاه.

[2]) مُحَمَّد البشير بن عبد الله الفهري الفاسي ، قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، منشورات جمعية علوم الانسان ، الرباط ، ص 43.

[3]) العربي المشرفي ، المصدر السابق ، هامش ص 362.

[4]) ابن سودة ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، المرجع السابق ، ص 181.

[5]) مُحَمَّد البوزيدي ، الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية ، تحقيق عاصم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006 ، جمع فيه 66 أدب للمريدي الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة.

وله الحمد وهو على كل شيء قدير" مائة مرة كذلك. وفي سائر الأوقات "**لا إله الا الله**" من غير عدد ولا كلفة ولا مشقة .

أما **وِرد النساء:** فقد كان يلقنهن بعد مائة الاستغفار ، "**اللهم صل وسلم على سيدنا مُحَّد وعلى آل سيدنا مُحَّد**" مائة مرة ، و"**لا إله الا الله**" مائة مرة ، وعند تمامها "**سيدنا مُحَّد رسول الله ﷺ وعلى آله**".

فضيلة الورد: وقد كان الشَّيخ الدَّرقاوِّي يحرص على مواظبة مريديه على الورد لما له من الفضل ، و"كان يقسم بالله أن من دام على هذه الأذكار حتى يربح في الدنيا والآخرة ربحا كبيرا" ، ويقول كذلك: "مذ شرح الله صدري لهذا الورد ، أن نلقنه لكل أحد سواء طلبه مني أم لم يطلبه مني ، لما نرى له من الخير والسر والبركة والفضل" وكان يكرره لمريديه في اليوم عدة مرات ، ويقول لهم: "إني لأستيقظ من نومي وأريد أن نبعث لكم لتذكروا ، وأترك ذلك خيفة سآمتكم أو أشق عليكم" وكان يقول: "هذا الشرح الذي شرح الله صدري هو الإذن من الله ، والإذن كان قبل هذا الوقت ما يزيد على خمسة وخمسين سنة[1]"

إلا أن الملاحظ أن صيغة الورد التي أصبح يلقنها الشَّيخ الدَّرقاوِّي لمريديه ، تختلف عن الصيغة التي لقنه إياها شيخه مولاي العربي الجمل ، إذ يقول الشَّيخ الدَّرقاوِّي أن شيخه لقنه الورد: "وهو "أستغفر الله" مائة و"اللهم صل على سيدنا مُحَّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما" مائة و"لا إله إلا الله" **ألف مرة** ، وعند انتهاء كل مائة "سيدنا مُحَّد رسول الله ﷺ وعلى آله" ، وقال له شيخه: "أن هذا الورد عنده من طريق أهل الظاهر السادات الناصريين[2]".

وعلى الرغم من أن أبا زيَّان الغريسي لا يعطي توضيحات عن أسباب تخفيض ذكر الهيللة من ألف إلى مائة ، إلا أن درقاويا آخر يوضح ذلك ، ألا وهو مولاي العربي بن عطية الونشريسي ، إذ يقول في كتابه "الاستمدادات الربانية": "بعد وفاة الشَّيخ يجوز لمن استخلفه في المشيخة الحقيقية أن يحذف ما شاء بما أمره به من الأوراد والأحزاب والوظائف ، وله أن يثبت ما شاء ، لأنه يترقى إلى الإذن من الله ورسوله_ ﷺ_ ويكون في ذلك على بصيرة من الله ، وإذا كان كذلك فلا شيء فيما أثبته أو حذفه ، وقد أخبرنا أستاذنا _رحمه الله_ أنه لما التقى مع شيخه _رحمه الله_ وأخذ عنه الورد قال له أذكر الاستغفار مائة والصلاة على رسول الله _ ﷺ_ مائة ولا إله إلا الله ألف قال: كنت أذكر ذلك فلما توفي مولانا علي الجمل حذف تسعة مائة من الهيللة وأثبت مائة واحدة[3]".

[1]) أبو زيَّان الغريسي ، المصدر السابق ، ص 9 ، ينظر كذلك: مولاي العربي الدرقاوي ، مجموعة رسائل مولاي العربي الدَّرقاوِّي الحسني ، تحقيق ، بسام مُحَّد بارود ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ص 415.

[2]) أبو زيَّان الغريسي ، المصدر السابق ، ص 29.

[3]) مولاي العربي بن عطية ، المصدر السابق ، ص 174 ، مولاي العربي الدرقاوي ، المصدر السابق ، ص 63 ،

ب- **تشخيص حروف الاسم الأعظم:** وهو لفظ الجلالة "**الله**" ، ويعتبر هذا الذكر كذلك من جملة الأوراد التي يختص الشَّيخ ومقاديمه بتلقينها للمريدين ، وقد أخذه مولاي العربي عن شيخه علي الجمل وقال له: "هذا عندنا من طريق أهل الباطن السادات أولاد ابن عبد الله بالمخفية ، وهم عن السادات الفاسيين عن الشَّيخ المجذوب".

وطريقة ذكر الاسم الأعظم عن طريق تشخيص حروف لفظ الجلالة "الله" الخمسة بين عيني الذاكر وقت ذكره ، وهي الألف واللامان والألف المحذوفة والهاء ، دون رسمها بحائط أو حجر أو خشب أو غير ذلك ، وإنما باستحضاره وتشخيصه بالقلب فقط.

أهمية التشخيص: ينقل الشَّيخ الدَّرقاوِّي عن شيخه أن فائدة هذا التشخيص بهذه الكيفية تكمن في حصر قلب المريد وسجنه عن الخوض في الحس ، فإن ثبت على ذلك بنظافة البدن والثياب والمكان واللسان والبطن والجوارح كلها ، مع الاعظام حالة الذكر والإجلال والسكينة والوقار والحالة السنية والاعتماد على الله ، فإن مادة الحس _وهو عالم الملك_ تضعف عنه ، وتتقوى مادة المعاني وهو _عالم الملكوت_ فحينها ينال المريد علوما وهبية وأنوارا غيبية ، يجب على المريد أن لا يقف معها وأن لا يلتفت إليها ، بل يعرض عنها لأن تلك العلوم والأنوار ، _كما يقول الشَّيخ الدرقاوي_ قد قطعت كثيرا من أهل الطريق عن الوصول إلى غاية التحقيق[1].

ج-حلقة الذكر وتسمى الحضرة والعمارة: وتكاد تكون هذه الحلقة من خصائص الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ، ومن الطقوس التي لفتت أنظار الناس إليهم ، ذلك أنها كانت تعقد في الأماكن العامة والخاصة ، في المساجد والزوايا والقرى والمدن والمداشر والخيام ، وليس لها وقت محدد سواء ليلا أو نهارا ، وانتشرت كما يقول أبو زيَّان الغريسي بأرض المغرب وأرض المشرق والصحراء وسوس الأقصى.

وعن كيفية إقامة الحضرة يقول أبو زيَّان الغريسي: "تكون بالجهر والقيام والقعود والإجلال والتعظيم ، جماعة على لسان واحد وميلة واحدة بالاتساع والتوسط والقصر في الهيللة واسم الجلالة باللسان والصدر على حسب المراتب ، وتشبيك الأيدي في القيام وفي الجلوس كحالة التشهد ، إلى غير ذلك من آدابها وإنشاد المعاني الرقيقة وتغزلات الحقيقة التي اصطلح الصوفية"

ويقول كذلك أن شيخه:" كانت الحضرة ديدنه ، ومنها جاء فتحه واستمداده ، وعليها دار قربه ومشربه ، والمبتدي والمتوسط والمنتهي ، وطالب التبرك وذو المحبة كلهم عنده فيها سواء كالصلاة ، وكل واحد يجني ثمرة ذكره بحسب مكانته من ربه وقدره"

---

[1]) مولاي العربي الدرقاوي ، المصدر السابق ، ص 414.

وعن مشروعيتها نجده يستشهد بالحديث النبوي الذي يقول فيه النبي ﷺ: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا" قيل: "وما رياض الجنة يا رسول الله ؟" قال: "حلق الذكر[1]"

ويروي في فضلها أنه سمع شيخه يقول لأحمد بن عجيبة: "اعلم أن عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا كما ورد ، ونرى أن حلقة الذكر التي عليها إخواننا الفقراء اليوم في كل أرض جهرا تقوم مقام السر ، إذ الوقت وقت غفلة وقد استولت فيه على الناس كلهم إلا النادر منهم ، فالجهر بالذكر والحمية في الدين هكذا أولى من إخفائه" فاستحسن أحمد بن عجيبة ذلك ، وأعجبه غاية[2].

ورغم أن الحضرة تقتصر غالبا على الرجال إلا أن الشَّيخ الدَّرقاوِّي أذن فيها للنساء إذا توفرت شروط ذلك ، يقول أبو زيَّان الغريسي: "إلا النساء فلا يجب حضورهن ، بل ولا قربهن للرجال ، نعم إن كنَّ وحدهن بموضع خاو بحيث لم تسمع لهن أصوات ، فيحبنهن أن يذكرن حينئذ جماعة على لسان واحد جهرا كحال حلقة الذكر المشهورة عنه" ويقول أنه قد كان على هذه الحال جماعات من النساء من محباته ، فربحن وحسن حالهن[3].

د-**اسقاط المنزلة بين الناس:** ويكاد يكون هذا الأمر من أخصّ خصائص الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة في نشأتها الأولى ، وتتمثل هذه الرياضة الروحية في ممارسة كل ما من شأنه اسقاط الاعتبار والمنزلة في أعين الخلق ، وخاصة أمام أصحاب المروءة والجاه وغيرهم ، وتعدَّدت مظاهر ذلك كثيرا ، فمن ذلك: لبس خشن الثياب وباليه أو ما يسمى بالخرقة والمرقعة أو الدربال ، بالإضافة إلى كشف الرأس والمشي حافيا ، والأكل والرقاد أمام الملأ في الأسواق والشوارع والتسول وحمل قرب الماء وغيرها مما يعتبره الشَّيخ أبو زيَّان الغريسي "من أحوال الملامتية من الأولياء" الذين يمارسون كل ما من شأنه أن يبعدهم عن الخلق ويقربهم من الملك الحق" ويضيف أن هذه الممارسات "لا يفعلها إلا المخلص الذي لا يبالي بنفسه ، ولا يرائي أبناء جنسه".

وكان الغرض غالبا من هذه السلوكات اختبار مدى صدق المريد في سلوكه طريق التصوف ، وكذا امتحان مدى تسليمه لشيخه وطاعته له ، بالإضافة إلى الأغراض التربوية والروحية الأخرى والتي من بينها ترسيخ صفة التواضع ومحق الذات مع الخلق ، ومخالفة النفس والهوى ودواعي حب الجاه والشهرة والظهور وغيرها من أمراض القلوب ورعوناتها ، يقول الشَّيخ الدرقاوي: "فلا وصول إلى الله إلا من باب موت النفس ، ولو عمل العامل ما عمل لا يكون له ذلك إلا بعد موتها ومحوها واضمحلالها وذهابها وزوالها ، وبعد فنائها عن فنائها ، وموتها يكون بمخالفتها وبترك رأيها بالكلية ، ومتابعة الثقيل عليها واجتناب الأخف عليها". ويضيف أبو زيَّان الغريسي: "والصوفية رضي الله عنهم نحوس النفوس ،

[1]) رواه أحمد في المسند ، والترمذي في السنن ، والبيهقي بسندهم عن أنس ، الجامع الصغير 112/1 ، الحديث رقم: 859.
[2]) وقد ذكر ذلك مولاي العربي الدَّرقاوِّي في إحدى رسائله ، ينظر ، مولاي العربي الدرقاوي ، المصدر السابق ، ص 116.
[3]) أبو زيَّان الغريسي ، المصدر السابق ، ص 60 ، عقد لها فصلا.

يدخلون عليها كل مغارة ، ويخرجونها شديدة الغارة ، إذ الخير كله في مخالفتها وارتكاب الثقيل عليها ، ولا تحيا القلوب إلا بموتها ، قال بعضهم: "المحبة عروس ومهرها النفوس ، ما تحيا القلوب إلا بموت النفوس".

ويعترف أبو زيَّان الغريسي أن هذا "المسلك صعب على النفوس جدا ، فلذلك لا يسلكه إلا الأقوياء الفحول الأصفياء الشُجَّاع ، كسلطان الأولياء الشَّيخ الجليل الشريف الأصيل أبي مُحَّد سيدي مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه الذي قال رمت الدخول والوصول إلى الله من كل باب فوجدت على جميعها الازدحام حتى أتيت باب الذل والافتقار فوجدتها خالية فدخلت عليها[1]".

وقد كانت ممارسات درقاوة هذه هي السبب الأكبر في جلب الانتقادات اللاذعة لهم ورميهم بالبدعة والضلالة والزندقة من قبل العلماء والفقهاء ، بالإضافة إلى تعريضهم للتضييق من قبل السلطات وعمال الدولة ، كما حصل لفقراء تيطوان سنة 1794م ، أو لفقراء معسكر الذين قتلهم الباي مصطفى المنزالي ، وهو الأمر الذي حذا بالشَّيخ الدَّرقاوِّي إلى نهي مريديه عن إقامة الحضرة في الأسواق والأماكن العامة ، وإلزام بعضهم بالخمول وعدم اظهار ما للطائفة من حمية وحماسة في تدينها ، كما سجل ذلك في رسائله لعبد القادر بن الشريف ، وفي بعض وصاياه لمحمد البوزيدي ، وخوفا عليهم كذلك من بطش الحكومات[2].

إلا أن هذه الممارسات والرياضات إنما يمتحن بها بعض المريدين في بداياتهم ، وذلك حسب ما يراه الشيوخ مناسبا لصلاحهم وسلوكهم وترقيهم ، وقد يؤمر بها البعض دون البعض الآخر ، فهذه الممارسات نجد أن الشَّيخ مُحَّد البوزيدي أمر بها الشَّيخ أحمد بن عجيبة ، في حين لم يؤمر بها الشَّيخ مُحَّد الحراق وعبد الواحد الدباغ ، وغيرهما ، مما يدل أنها وسيلة تربية وليست أصلا في الطريق ، يقول أبو زيَّان الغريسي: "اعلم أن ما ذكرنا في هذا الفصل وفي غيره من مخالفة المريد نفسه وأن لا يوافقها في أمر ما ، ليس هو على إطلاقه لكل أحد ، وفي كل حال من الأحوال بداية ونهاية ، فمادامت النفس موجودة حية فنعم ، وأما إذا ماتت وذهبت وتلاشت واضمحلت وأُبدل مالك رضوان ، واستولى سلطان الروح على جميع الأركان وصارت البشرية روحاينة ، فلا يوزن عليها بقسطاس ولا يقيد عليه بدواة وقرطاس ، لأنه تحول غيره وعاد شره خيره[3]"

هـ -السيَّاحة: وهي السَّفر لأماكن معيَّنة ولغرض معيَّن ، فقد تكون لزيارة الشَّيخ أو ضريح أو ثغر أو رباط من رباطات الجهاد ، كما قد تكون لزيارة الإخوان والمريدين والدعوة إلى الله ، غير أنه

---

[1]) نفسه ، ص 41 ، و46 ، تضمنه الباب الثالث من الكتاب.

[2]) العربي بن عطية ، المصدر السابق ، ص 101.

[3]) أبو زيَّان الغريسي ، المصدر السابق ، ص 49.

يشترط في السِّياحة إذن الشَّيخ ، الذي يضبط لهم في كثير من الأحيان مسار الرِّحلة وعدد الفقراء المعنيين بها[1].

أما زيارة أضرحة ومقامات الأولياء والصالحين والأماكن المعظمة فقد التزمها الشَّيخ الدَّرقاوِّي في بداياته وكان يرى أن "من خصائصها أنَّها تبلِّغ صاحبها إلى شيخ من شيوخ الطَّريقة جامعا بين الشريعة والحقيقة ، لأنه هو الذي يصلح للاقتداء[2]" ، وكان يأذن لمن شاء من فقراء طريقته بزيارة أضرحة الصَّالحين ، فمن ذلك ما يذكره أبو زيَّان الغريسي أنه ذهب رفقة مجموعة من إخوانه سنة 1814م ، في زيارة لضريح أبي درقة أحد أجداد شيخهم الذي ينتسبون إليه ، وزيارته لضريح الشَّيخ عبد الرحمن البربوشي أحد كبار فقراء درقاوة ، وكثيرا ما تكون السياحة وسيلة لاستقطاب المزيد من المريدين والأتباع ، ولا أدلَّ على ذلك من أن ابني عجيبة أحمد والهاشمي انتظموا في سِلك الطَّريقة بعد سياحة قام بها الشَّيخ البوزيدي لنواحي أنجرة وتيطوان[3].

ومن الأماكن المقصودة بالزيارة لأتباع الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة زاويتي بوبريح وحيط ليلا ببني زروال ، ونجد أن عبد القادر بن الشريف كان يزروهما في ركب سنوي ، وكذلك يصنع فقراء فجيج وطنجة وغيرهما ، كما أن مريدي الطَّريقة في الجزائر كانوا ينتظمون في شكل أركاب ثم يفدون على زاوية مقدَّم الطَّريقة بمعسكر عبد القادر بن الشريف ، يقول أبو زيَّان الغريسي: "كانت تأتيه أركاب كثيرة للزيارة والانتفاع ، طائفة صادرة وأخرى واردة ، وكل دفعة يجعل لها مجلسا وقت انصرافها من عنده ، في ذكر الفرائض والسنن المؤكدة من أحكام الاستبراء والوضوء والغسل..إلخ[4]"

لقد شكلت طقوس إسقاط المنزلة وكذلك الأركاب التي كان ينظمها الدَّرقاويُّون بصفة مستمرة ومنتظمة ممارسات استعراضية ، كان يرى فيها البعض ثورة على قيم المجتمع وتقاليده ، كما رأت السلطات في اجتماعات درقاوة والأركاب التي كانوا ينظمونها والتي كانت تظهر ما للطائفة من نفوذ وقوة مصدر تهديد لوجودها ، وينقل لنا مولاي العربي بن عطية أن أهل المغرب تروَّعوا من الركب الذي كان يقوده مُحَمَّد البوزيدي نحو شيخه العربي الدرقاوي ، إذ كان يأتيه مع نحو المائة مريد تتقدمهم الطبول والغوايط ، مما حذا بالشَّيخ إلى حثِّه على الخمول ، وأن لا يصحب معه في سياحته أكثر من 12 مريدا ، وشدَّد عليه مرة أخرى في أن لا يأتيه للزاوية بأكثر من خمسة فقراء فقط ، إلا أن المدَّ الدَّرقاوِّي والحماس الزائد لكثير من الفقراء والمريدين جعلهم لا يلتزمون بهذه الضوابط التي كان يأمرهم بها شيخهم ، مما كان له عواقب وخيمة أضرت بالطَّريقة في أكثر من مناسبة.

---

[1]) العربي بن عطية ، المصدر السابق ، ص 98.

[2]) مولاي العربي الدرقاوي ، المصدر السابق ، ص158.

[3]) أبو زيَّان الغريسي ، المصدر السابق ، ص 100.

[4]) نفسه ، ص 86.

8- أبرز رجال الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة:

جعل أبو زيَّان الغريسي الباب الخامس من كتابه حول أهم رجال الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة "ممن كانت له حال قوية جليلة" ، والتزم في هذه التراجم الاختصار بالإضافة إلى ذكر البعض فقط ، مع عدم ترتيبهم حسب أفضليتهم ومكانتهم في الطَّريق ، إلا إذا نوَّه بذلك شيخه أو عن مشاهدة منه ، كما يقرّر أنَّ الجمَّ الغفير من مريدي الشَّيخ الدَّرقاوِّي دخل مقام الجمع والفناء ، أما تفاوتهم فيه فموكول إلى الله تعالى[1] .

يذكر أبو زيَّان الغريسي أن الشَّيخ الدَّرقاوِّي بعد ملازمته لشيخه علي الجمل مدة سنتين استأذن منه في العودة لقبيلته بني زروال ، حيث جاءه الإذن بالتصدُّر للتربية والإرشاد ، إلا أن إعلان ذلك لم يكن إلا بعد وفاة شيخه علي الجمل سنة 1779م ، ويروي عن الشَّيخ الدَّرقاوِّي قوله: "ثم لما وقع هذا الإذن جاء المؤمنون في الحين ، فبنفس ما رأيناهم ورأونا تذّكروا وتذّكرنا ، وانتفعنا منهم وانتفعوا منا ، وربحنا منهم وربحوا منا[2]"

اشتُهر الشَّيخ الدَّرقاوِّي بكثرة مريديه ، حتى قال البعض أنهم بلغوا أربعين ألف ، كلُّهم بلغوا مرتبة التأهيل والإرشاد ، كما أنهم انتشروا بكل أقطار العالم الإسلامي[3] .

جعل أبو زيَّان الغريسي أصحاب الشَّيخ الدَّرقاوِّي على ثلاث طبقات ، بناء على علاقته واتصاله بهم ، إذ جاءت **الطَّبقة الأولى** في ذكر كبار المريدين الذين سمع عنهم وماتوا قبل أن يلتقيهم وعددهم 12 رجلا ، إلا أنه ذكر رجلين آخرين في هذه الطَّبقة وليسا منها ، "لكونهما ممن شيَّد لهذا الفنَّ معالمه وسبله ، وعلم فروعه[4]" ، ثم **الطَّبقة الثَّانية** فيمن التقاهم وتوفوا ، انتهى فيه إلى ذكر ستة منهم ، أما **الطَّبقة الثَّالثة** والتي جعلها فيمن كانوا لا يزالون على قيد الحياة أثناء تحريره للكتاب ، فقد ظلَّ ناقصا ولم يكمله ، والجدول التالي يلخِّص أهمَّ رجال الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة وفق المنهجية التي سطرَّها أبو زيَّان الغريسي في كتابه:

أصحاب الدَّرقاوِّي حسب أبي زيَّان الغريسي		
الطَّبقة الأولى: لم يلتقيهم	**الطَّبقة الثانية:** إلتقاهم وتوفوا	الطّبقة الثالثة: الأحياء (توفي المؤلف قبل استكمال كتابه)
1) أحمد العربي الزروالي	**1) أحمد بن مُحَّد بن روح الزروالي**	
2) عبد الرحمن العربي الزروالي	**2) مُحَّد بن الحسن السوالي**	

1) نفسه ، ص 65.

2) نفسه ، ص 66.

3) مولاي العربي الدرقاوي ، المصدر السابق ، ص 13.

4) نفسه ، ص 77.

	الزروالي()	
3) مُحَّد بن الحاج السوالي الزروالي	3) عبد القادر بن الشريف الفليتي	
4) عمر بن عبد الوارث بن روح الزروالي	4) مُحَّد بن معروف الفجيجي	
5) مَحمد بن أحمد بن روح الزروالي	5) مُحَّد بن أحمد بوزيد الغماري	
6) مَحمد بن بوعزة	6) أحمد بن عجيبة الأنجري	
7) عبد السلام بن نونة الفاسي	7) الهاشمي بن عجيبة الأنجري	
8) الحاج الطاهر الأحبابي الفاسي	8) مُحَّد بن مُحَّد النجار الشفشاوني	
9) عبد الرحمن بن مُحَّد بن حميدة البربوشي	(*) ذكرهما في الطّبقة الأولى، إلا أنهما من أهل الطَّبقة الثانية، وقدمهما لمكانتهما في الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة.	
10) مُحَّد بن طالب السغروشني		
11) عبد القادر بن بوجدة الفاسي		
12) مُحَّد بن عبد الله المكودي		

يلاحظ أن عدد من ترجم لهم المؤلف بلغ 20 شخصية، والجدول أعلاه يوضح أن كبار مريدي الشَّيخ كانوا متوزعين بشتى جهات المغرب الأقصى والجزائر مما يعكس توسع الطَّريقة وانتشارها، فالقائمة تضم شخصيات من جنوب المغرب وشماله ومن شرقه وغربه ووسطه، وكذلك شخصيات من أوساط حضرية وأخرى من البيئة الريفية، بالإضافة إلى انتماء معظم من ترجم لهم إلى النَّسب الشريف.

إلا أن تراجم هؤلاء تتفاوت في طولها وقصرها، وتكاد تراجم الطَّبقة الأولى تتميز باختصارها الشديد، إذ لم يترجم لكثير منهم إلا ببضعة أسطر فقط مثل: عبد الرحمن العربي، مُحَّد بن الحاج السوالي، مُحَّد بن الحسن السوالي، الطَّاهر الأحبابي، مُحَّد بن طالب، ومن الذِّين أطال في تراجمهم من أهل الطَّبقة الأول:

مُحَّد بن عبد الله المكودي التازي: يصفه بأنه "مُشد أزر الإخوان بالذكر والتذكير، مُدحض رفقة المعاندين والمكابرين والانتقاد والتنكير"، وكان له فضل السَّبق والتفطن لجمع

رسائل شيخه إليه وإلى غيره في كتاب مستقل ، كما أنه صاحب تصانيف في علم القوم شعرا ونثرا ، إلا أن أشهر كتبه يتمثل في الكتاب الذي ألفه في الرد على علماء تيطوان ، بعد أن امتحن هو ورفقاؤه بالسِّجن والتعذيب سنة 1794م ، والكتاب يحمل عنوان: "**الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان**" توفي بالوباء سنة 1214 أو 1215 هـ[1].

أمَّا **تراجم الطَّبقة الثَّانية** فتتميز بطولها واستطراد المؤلف فيها ، لأنها في الحقيقة ضمَّت أبرز رجال الطَّريقة الذِّين كانت لهم اليد الطولى في نشر الطَّريقة والتعريف بها من أمثال:

أ- **عبد القادر بن الشريف الفليتي:** صاحب ثورة درقاوة ضد الأتراك في الغرب الجزائري ، ويلقبه أبو زيَّان الغريسي بالسلطان ، "قد تبعته طوائف من الناس ، علماء وطلبة وصلحاء وأهل الزوايا والأشراف والعوام ، رجالا ونساء كبارا وصغارا عبيدا وأحرارا ، وأهل تجريد وإرادة ، وأهل تبرك ومودة ، وفنى في ذكر الاسم جلهم ونال الجذب بعضهم" ، وكانت تأتيه أركاب كثيرة للزيارة والانتفاع ، طائفة صادرة وأخرى واردة ، وكل دفعة يجعل لها مجلسا وقت انصرافها من عنده" وكان رحمه الله يزور الشَّيخ مرة في السنة في ركب من أصحابه ، ويأتي بزيارة كبيرة عبيدا وابلا وبغالا وفرشا وعروضا ودراهم ودنانير وحليا وغير ذلك ولا يترك بداره شيئًا حتى حليهم ولباسهم إلا ما لابد منه ، ولا يرجع من الزيارة حتى يجد عندهم أكثر مما أخذ لهم وهكذا في كل مرة" ثم يذكر أنه توفي بالوباء سنة 1233 هـ بجبل الكواكب ببني يزناسن ، بعدما تأخر عن قتال الترك[2].

ب –**محمد بن معروف الفجيجي**: صاحب تصانيف كثيرة في التصوف وغيره ، ويقول عنه أبو زيَّان الغريسي "وكان يأتي لزيارة الشَّيخ في ركب من فقراء فجيج ، وأبناء عمِّه أولاد سيدي علي بوشنافة وغيرهم من أهل الصحرا ، لا يترك ذلك إلى أن مات عندنا بمدينة المعسكر بإزاء غريس عام 1218هـ"[3].

ج –**محمد البوزيدي الغماري**: أبرز رجال الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة وأعلاهم شأنا ، كان الشَّيخ الدَّرقاوِّي يشير إلى أنه بلغ مرتبة الفردانية ، وهي مرتبة أعلى من مرتبة القطب ، كان صاحب تصانيف وقصائد في التصوف ، وكان يجرد الأركاب لزاوية شيخه ببوبريح ، كما كان صاحب سياحة من أجل التعريف بالطَّريقة والدعوة إليها ، ومن أبرز من انضم للطريقة على يديه ابني عجيبة مُحَمَّد والهاشمي ، توفي في حياة شيخه سنة 1229هـ[4]

[1]) ترجم له أبو زيَّان الغريسي عبر ثلاث صفحات: 83 ، 84 ، 85.

[2]) جاءت ترجمته في ثلاث صفحات ونصف: 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، ينظر كذلك: مُحَمَّد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، 2008 ، ج8 ، ص 2501.

[3]) جاءت ترجمته في صفحتن ونصف: 89 ، 90 ، 91. ينظر كذلك: مُحَمَّد حجي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 2475.

[4]) ترجم له في أزيد من 6 صفحات: من ص 91 إلى 97 ، ينظر كذلك: مُحَمَّد حجي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 2492

د –محمد بن عجيبة الأنجري: يصفه أبو زيَّان الغريسي بقوله: "حُجَّة الطائفة الدَّرقَاوِيَّة ، مبينا لأحكامها ناشرا لأعلامها ، سبر عن علومها حتى صار ينبوعا لشموسها وأقمارها ونجومها" ، تميز بكثرة تصانيفه الصوفية ، ومنها تفسيره للقرآن الكريم ، توفي في حياة شيخيه البوزيدي والدَّرقاوِّي سنة 1224 هـ[1].

إلا أن كتاب كنز الأسرار تضمن قائمة أخرى من رجال درقاوة ، كان المؤلف يذكرهم في تضاعيف كلامه واستطراداته ، وكان ينوِّه بفضل كل واحد منهم ، ويحلّيه بما يليق بمقامه من الألقاب ، ويصل عددهم إلى 30 شخصية كما يلخصهم الجدول التالي:

اسمه وشهرته	بعض ما ذكر من مناقبه أو حلاّه به من ألقاب
مريم بنت الشَّيخ بن خدة الحسناوي	زوجة الشَّيخ الدَّرقاوِّي التي قام بتغسيله
أحمد بن مُحَّد بن عبد الرحمن اليلصوتي	قام بالصلاة على الشَّيخ الدرقاوي
عبد القادر الزدمي التلمساني	الفقيه الرباني الزاهد الورع العارف
عبد الله بن الطيب بن حوَّى الغريسي	الفقيه الأجل المحترم والمبجل حسن الشمائل كثير الفضائل ذو السمت والهدى والوقار والأذواق اللدنية والأنوار والأسرار ولي الله تعالى
أحمد كوهن الفاسي التازي	البدر المنير العلامة النحرير ، إمام الاحترام والتوقير الصوفي المتدارك الجامع المشارك
أبو العباس أحمد بن زرغيل	الأستاذ الأكبر المحقق الأشهر المحبوب لدى أهل النسبة كلهم ، وللشيخ أكثر الصوفي الجليل
مُحَّد بن المدني العلوي	الشريف الأجل
أحمد بن عبد الرحمن العلوي المراني	الشريف المنيف
مولاي الهاشمي المنصوري الزوراني	الفقيهين العدلين الصوفيين ، صحبا الشَّيخ حالة الصبا وقرئا عليه ودخلا لطريقته على يديه
الحاج علي الزرورالي	

[1]) ترجم له في 5 صفحات: من 98 إلى 102 ، ينظر كذلك: مُحَّد حجي ، المرجع السابق ، ج8 ، ص 2483

بوستة بن جابر الجامعي	الأخ الصالح صاحب النية والمحبة والصدق والمودة والانفاق الكثير والعشق والشوق
امبارك الحمري	نفع الله به خلقا كثيرا من أهل ثغر سلا ورباط الفتح وقبيلة بني أحسن
عبد الرحمن بن نونة الفاسي	كثير الخير والبر العارف بالرحمن الرحيم البر المقتبس منذ الصبا من أنوار المعارف الملازم للطائفة
أحمد النجار الشفشاوني	الفقيه الرباني العارف الصمداني
الحاج قدور السلاوي التازي	الأخ الصالح المحب الصادق الناصح
مُحَمَّد بن عبد الله البوجلالي المعسكري	صاحب الشَّيخ الدَّرقاوِي في أخذه عن علي الجمل
محمد بن حمو الفجيجي	الولي الصالح المحقق العارف الواعظ بحاله ومقاله المرشد الناصح ذي المواهب الربانية والعلوم اللدنية والأحوال الغريبة والمآثر العجيبة الفقيه الرباني
الشَّيخ بن الحرمة الفجيجي	الولي الأجل المعظم المبجل عند الكل ، صاحب الكرامات وخوارق العادات
بوعلال الحمياني	للولي الجليل المختطف لحضرة الجليل الجميل _قتل في حرب درقاوة__
محمد الزروالي	وصف الأول بالفقيه العلامة والثاني بالعالم.
محمد بن منصور	
العربي بن عطية الونشريسي	ذكر حال اصطلامه دون التصريح باسمه ، وذكر اسمه الناسخ في الهامش
عمر صالح الزروالي	المقدم الجليل ولي الله تعالى
عبد القادر بن المجاهد	الفقيه الفقير الفارس المجاهد راغم أنف المكابر والحاسد سيدي عبد القادر بن المجاهد
أحمد الخضر بن البشير الغريسي	أخي في الله وخلاصة ودي لجلال الله الولي الناسك الصالح الناصح العارف المحقق
أحمد بن عجيبة الصغير	من جملة مريدي مُحَمَّد البوزيدي من فقراء الريف والفحص
عبد السلام القاضي	
الحسن الكتامي	

ابن يونس	
أحمد بن قرو	

9- تقييم للمادة التاريخية في كتاب كنز الأسرار:

لا شك أن كتاب كنز الأسرار لأبي زيَّان الغريسي على وجازته واختصاره وعدم اكتماله ، مرجع لا غنى عنه للباحث في تاريخ التصوف في العصر الحديث ، لما اشتمل عليه من تعاليم وآداب خاصة بالطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ومنهجها في التربية والسلوك ، وكذا لانفراده بذكر مواقف وأحداث تاريخية سكتت عنها معظم المصادر التاريخية ، بما في ذلك المصادر الدَّرقَاوِيَّة نفسها ، فالباحث لا يكاد يجد ما يشبع فضوله المعرفي بخصوص عبد القادر بن الشريف زعيم ثورة درقاوة ومصيره مثلا ، وموقف شيخه من الثورة ومن زعيمها إلا في هذا الكتاب ، كما ضم الكتاب بين دفتيه شهادات وأحداث ومواقف لا نجدها في غيره ، فالكتاب فضلا عن تعريفه بمؤسس الطَّريقة الدَّرقَاوِيَّة ونشأته العلمية والروحية وتصدره للتربية والإرشاد وما أسَّسه من زوايا وما وقع له من الفتوحات ، وما كان يأتيه من الأركاب التي تضم مئات المريدين من كل جهات المغرب الأقصى وحتى من خارجه ، فهو يعرفنا بطريقة أو بأخرى بقرابة خمسين شخصية درقاوية بلغوا مراتب الكمال وحازوا فضل التقدم والسبق في الطَّريقة ، دون أن ننسى المباحث المتعلقة بالأنساب والاثنيات سواء بقبيلة بني زروال أو غيرها من نواحي المملكة المغربية والجزائر ، كل هذا يزيد من أهمية الكتاب وقيمة المادة التاريخية المودعة فيه ، وهذا ما يفسر انتشار الكتاب شرقا ومغربا ، وتعدد نسخه في الخزائن العامة والخاصة.

ومع ما للكتاب من أهمية إلا أن صاحبه كان يستعمل كثيرا ما يسميه أهل اللغة والأدب بـ"الحشوِّ والاطناب" ، خاصة إذا تعلَّق الأمر بالأوصاف والألقاب التي كان يحلِّي بها شيخه أو كبار مريديه ، فهو يسترسل في تدبيج العبارات المسجوعة إلى عدَّة أسطر ، بل إلى صفحة أحيانا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجده يكثر من النُّقول سواء من رسائل شيخه أو من قصائد التَّصوف ، مثل نقله لعدة أبيات من تائية البوزيدي وغيرها مما يمكن أن يجده الباحث في كتب مستقلة غير هذا الكتاب ، مع مبالغته في الاستطراد والخروج عن الموضوع الأصلي إلى تفرعات ومسائل متعلقة بدقائق التَّصوف ، بالإضافة إلى تبييضه لتواريخ وفيات الكثير من الشخصيات التي ذكرها ، وهذا يعود أساسا إلى عدم اعتماده على المصادر وتعويله على ما تسنح به ذاكرته وخواطره.

فإذا ما استثنينا من الكتاب هذا الجانب المتعلِّق بالصَنعة اللُّغوية والحشوِّ والاطناب ، فللباحث أن يجد فيه ما لا يجده في غيره من المصادر التاريخية المتعلقة بتاريخ الطَّريقة الدَّرقاويَّة ، وهذا ما يجعله جديرا بالتحقيق والدراسة والطباعة والنشر ، خاصة إذا أضيفت إليه ملاحق تكميلية متعلقة بسير وتراجم بقية رجال درقاوة ممن لم يذكرهم المؤلف.

الملاحق:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الموصوف والمعروف بالوجود والقدم، الحي القيوم الذي لا يطرأ عليه فناء ولا عدم
والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم، سيدنا ومولانا محمد ينبوع من تأخر ومن
تقدم، وعلى آله وأصحابه الناشرين معرفة الله والراسخين القدم وبعد فيقول
أردت أن تعليق وفاة أستاذي وملاذي وعمدتي ومعاذي وبغيتي ومرادي شيخ الطريقة
وقدوة قادة أرباب الشريعة والحقيقة نخبة الوجود وإنسان عين أهل معرفة الغيب
والشهود خلاصة خاصة أولي التخصيص والاصطفاء ومجمع مياه رياض العارفين والأتقياء
برزخ البحرين لا يبغيان ومركز الحضرتين سيان المخصوص بكمال التربية المعنوية الوارث
للولاية الجامعة المحمدية محيي الملة والمستبصر بجواهر حقائق المحبة والخلة حامل
لواء التوحيد والداعي بالله لله على محجة التجريد والتفريد صدر المشايخ ومرشد
سفينة كل عارف راسخ ذو الشرف الباذخ والمجد الشامخ الغوث الجامع والبحر الواسع
الدائم السكر والصحو الثابت في غير الفناء والمحو من إليه همم المريدين والمرادين توجهت
وعليه تربية المحبين والمحبوبين توقفت فريد عصره ووحيد دهره الذي لم ينسج أحد
على منواله ولا علمنا في زماننا من أعطي عشر عشر العشر من فضله ونواله الأستاذ
العربي أبا العلاء سيدنا ومولانا العربي ابن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا
الحسين الشريف الدرقاوي حشرنا الله في جواره وجعلنا من حزبه وشيعته وأنصاره آمين
مع ضعفي وقصر باعي وعدم معرفتي بحقائقه والهامي وإن كنت قد صحبته والحمد لله مدة
مديدة وأعواما عديدة تزيد على العشرين سنة ومع ذلك لم نستوف معرفة اسمه ورسمه
فأحرى نيل بابت سيره وعلمه وإني لعلى يقين أن يحيط بعقله أو بعلمه لكنه حقائق محله مع القاري

فهو

ويقول العبد الفقير ... الشريف الحسني محمد بن ...

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة العامة بالرباط

-1-

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الموصوف والمعروف بالوجود والقدم
الحي القيوم الذي لا يطرأ عليه فناء ولا عدم والصلاة والسلام
الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم سيدنا ومولانا محمد ينبوع من
تأخر ومن تقدم وعلى آله وأصحابه الثابتين في معرفة الله
والراسخين القدم وبعد فقد أردت أن أقيد وريقات استلذ بها
وملاذه وعمدته وبغيته ومراده شيخ الطريقة وفرد
قادة أرباب الشريعة والحقيقة نخبة الوجود وإنسان عين أهل
معرفة العيان والشهود خلاصة خاصة أولي التصميم
والإطلاق ومجمع حياض رياض المعارف والاكتفاء برزخ
البحرين لا يبغيان ومركز الحضرتين بلا بينان المخصوص بكمال التربية
المعنوية الوارث للولاية الجامعة المحمدية محيي الملة والمسبغ
من وجوه حقائق المحبة والخلة حامل لواء التوحيد والداعي بالله
لله على محجة التجريد والتفريد صدر المشايخ ومرساة سفينة
كل عارف راسخ شيخ الشيوخ الباذخ والمجدد لشرائع الغوث
الجامع والبحر الواسع الدائر الشكر والمحو الثابت في عين الفناء

والمحو

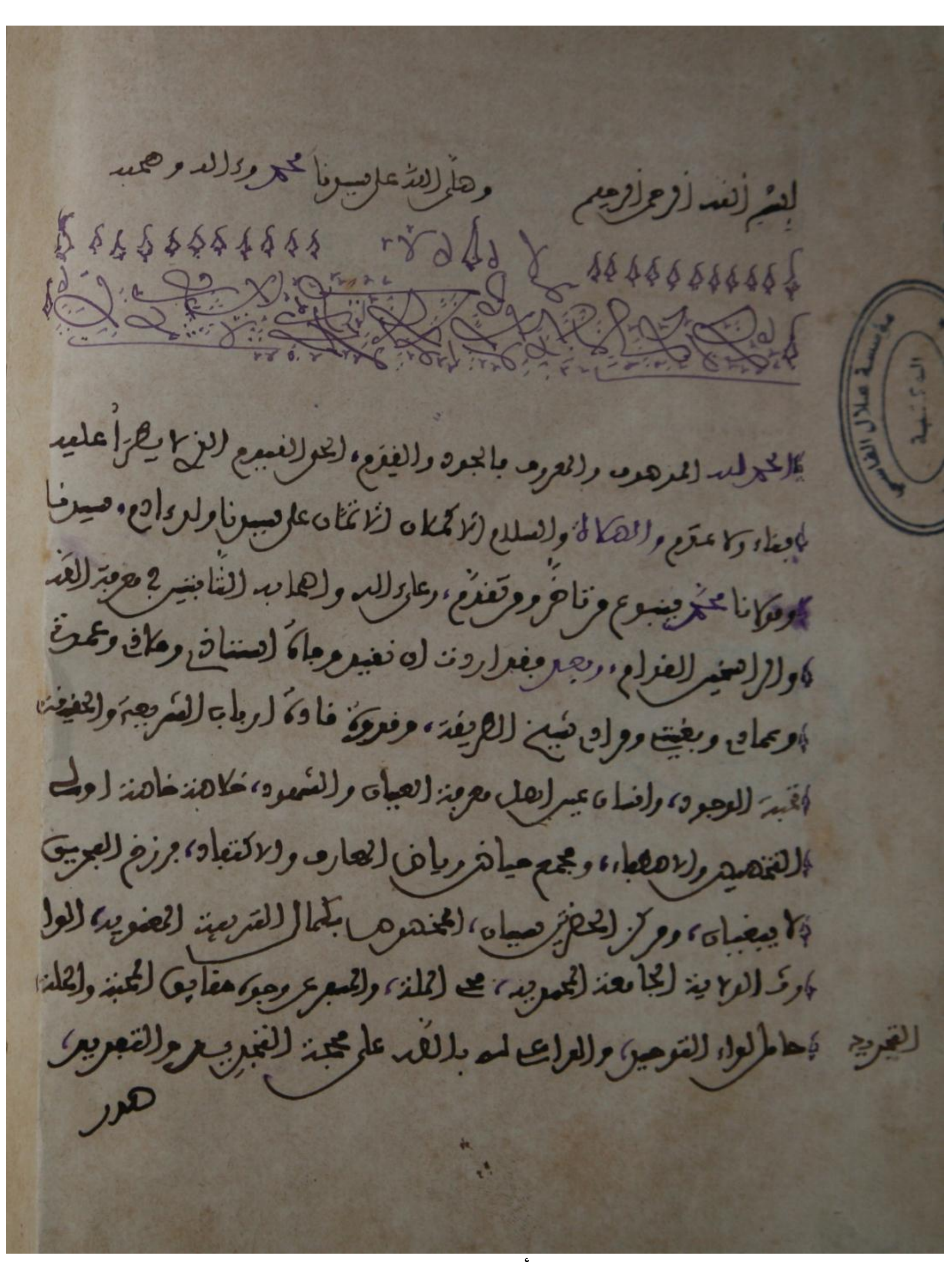
الصفحة الأولى من نسخة كلية الآداب بالرباط

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الموصوف والمعروف بالجود والقدم الحي القيوم
الذي لا يطرأ عليه فناء ولا عدم والصلاة والسلام الأكملان الأتمان
على سيد ولد آدم سيدنا ومولانا محمد ينبوع من تلاطم ومن تفجر وعلى آله
وأصحابه الثابتين في معرفة الله والراسخين القدم وبعد
فمراد ... أفيد وكمال استناد وملاذ وعمدة وعماد وبقية
ومراد شيخ الطريقة وقدوة سادة أرباب الشريعة والحقيقة
نخبة الوجود وإنسان عين أهل الوجود معرفة العيان والشهود
خلاصة خاصة أولي التخصيص والاصطفاء وجمع حياض رياض المعارف
والاكتفاء برزخ البحرين لا يبغيان ومركز الحضرتين سيدي المخصوص بكمال
التربية المعنوية الوارث للولاية الجامعة المحمدية في الملة
والمستمر على وجوه حقائق المحبة والخلة حامل لواء التوجيه

الإمام

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الموصوف والمعروف بالجود والكرم، الحي القيوم الذي لا يطرأ عليه
فناء ولا عدم والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيدنا ولد آدم، سيدنا
ومولانا محمد ينبوع من تأخر ومن تقدم، وعلى آله وأصحابه التابعين في محبته القدم
وأولي الهمم العظام، وبعد فقد أردت أن نقيد من جواهر أستاذي وملاذي وعمدتي
وإمامي وبغيتي ووارث سر الطريقة، وفريدة فاق أرباب الشريعة والحقيقة
قطب الوجود، وإنسان عين أهل معرفة العيان والشهود، خلاصة خاصة أولي
التخصيص والاصطفاء، ومجمع حياض رياض المعارف والاكتفاء، برزخ البحرين
لا يبغيان، ومركز الحضرتين تبيان، المخصوص بكمال الشريعة المحمدية الوا
رث الوراثة الجامعة المحمدية، محي الملة، والمعبر عن وجوه حقائق المحبة والخلة
حامل لواء التوحيد والقائم له بالله على محجة التجريد والتفريد — التفريد
هدر

الصفحة الأولى من نسخة مؤسسة علال الفاسي

مُلحق بكبار مريدي مولاي العربي الدَّرقاوِّي الذين لم يذكرهم أبو زيَّان الغريسي[1]

الاسم والشهرة	تاريخ الوفاة
1. امحَّد بن إبراهيم الفاسي	توفي في حياة شيخه
2. مبارك بن محَّد الخميري	1234
3. علي بن محَّد بوزيد الخمسي	1239
4. محَّد بن محَّد بن قدور التيطواني	1250
5. حمادي بن عبد الحفيظ الكتاني	1250
6. عبد السلام بن محَّد العراقي	1250
7. محَّد الشريف بن علي الجمل	1250
8. علال الهزاز بن محَّد السلاسي	1253
9. الطيب بن محَّد الكتاني	1253
10. أحمد بن عبد الله المراكشي	1260
11. محَّد بن محَّد الحرَّاق التيطواني	1261
12. أحمد بن عبد المؤمن الغماري	1262
13. محَّد بن عبد القادر الباشا الوكيلي	1262
14. محَّد بن يعقوب الفجيجي	1264
15. العياشي الخميري	1264
16. قدور الهزاز السلاسي	1266
17. امحَّد بن بوعزة البوعزاوي	1270
18. عمر بن البخاري المراكشي	1270
19. امحَّد بن بوعزة البوعزاوي	1270
20. عبد الواحد الدباغ	1271
21. العربي بن إبراهيم	1271
22. محَّد بن عبد اللطيف جسوس	1273

[1] قمنا باستقصاء هذه الأسماء من ثلاث مصادر: موسوعة أعلام المغرب الجزء الثامن ، سلوة الأنفاس ، الحسام المشرفي.

23. علي بن العربي الدَّرقاوِّي	1274
24. أحمد بن عبد الله المراكشي	1274
25. أحمد البدوي بن أحمد الفاسي زويتن	1275
26. مُحَمَّد بن علي السنوسي	1276
27. أبو عزة المهاجي	1277
28. مالك بن العناية السفياني	1278
29. أبو بكر بن مُحَمَّد زويتن	1281
30. عمر بن سودة المري	1285
31. مُحَمَّد بن عبد القادر الداودي	1286
32. الحاج أحمد بن صالح بناني	1286
33. الطيب بن العربي الدَّرقاوِّي	1287
34. مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحاجي	1289
35. الحاج مُحَمَّد فنجيرو	1289
36. حسن الفيلالي المراكشي	1290
37. علي بن مُحَمَّد جلون الفاسي	1292
38. مُحَمَّد بن عبد القادر الشاوي أصلاً الفاسي داراً	1319
39. بوعزة الحثمي	/
40. مُحَمَّد بن عبد الله بن الأحرش الدرعي البودالي	/
41. عبد القادر بن يحيى السلطيوني المعسكري	/
42. عبد الله بن ديدة	/
43. مُحَمَّد بن عدلة الزيَّاني	/
44. مُحَمَّد بن عبد الله المعسكري	/
45. عبد القادر الأغزاوي	/
46. عبد القادر بن علي المشرفي	/

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1) أبو القاسم الزيَّاني ، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، 1886م.
2) الآغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م ، تحقيق: يحيى بوعزيز ، دار البصائر ، ط1 ، 2007.
3) العربي بن عطية الونشريسي ، الاستمدادات الربانية فيما من الله علي من بحر الوجدانية ، تحقيق: بومدين بوزيد ، مُحَمَّد خاين ، منشورات وزراة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، 2015م.
4) مُحَمَّد البوزيدي ، الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية ، تحقيق عاصم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006.
5) محمد بن عبد السلام الناصري ، المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا ، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
6) محمد بن يوسف الزيَّاني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تحقيق: المهدي البوعبدلي ، دار المعرفة ، طبعة خاصة ، 2011م.
7) مسلم بن عبد القادر الوهراني ، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق: رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974.
8) مولاي العربي الدرقاوي ، مجموعة رسائل مولاي العربي الدَّرقاوِّي الحسني ، تحقيق ، بسام مُحَمَّد بارود ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي.

المراجع:

1) حسن الفرقان ، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي دراسة وتحقيق ، منشورات التوحيدي ، الرباط ، 2014.
2) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2011
3) شرف عبد الحق ، "الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرفات الجعسوس سي الظنون كنسوس للعربي المشرفي دراسة وتحقيق" أطروحة دكتوراه ، إشراف عبد المجيد بن نعمية ، قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2011/2010.
4) عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ، تحقيق: احسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982 ، ج 2. عبد السلام بن سودة ، سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال ، تحقيق: مُحَمَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1997 ، ص 10.

5) عبد الرحمن بن العربي الحريشي ، الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي ، مطبعة الدار البيضاء ، 1991 ، ج1 ، ص 145.
6) عبد السلام بن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، دار الفكر ، بيروت ، 1998م.
7) عبد السلام بن سودة ، اتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع ، تحقيق: مُحَمَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، ج1.
8) مُحَمَّد البشير بن عبد الله الفهري الفاسي ، قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، منشورات جمعية علوم الانسان ، الرباط.
9) مُحَمَّد المنصور ، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين ، ترجمة: مُحَمَّد حبيدة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2006.
10) مُحَمَّد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق: مُحَمَّد حمزة الكتاني وغيره ، دار الثقافة ، 2004 ، ج2.
11) محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، 2008 ، الجزء 8.
12) الهاشمي بن بكار ، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب المشتمل على أربعة كتب ، دار ابن خلدون ، تلمسان ، 1961م.
13) يوسف المرعشي ، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ، وبذيله عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر ، دار المعرفة.